تجليّات الإنسان الحداثي المتأزّم وقيم التجاوز عند روني غينون

Manifestations of the Crisis Modern Man and the Reasoning Values of René Guénon

عبد الحميد مرزوقي[1]
جامعة الجزائر -02-
مخبر الدراسات الفلسفية والاكسيولوجية
hamidtayha@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/02/13 القبول 2021/04/30 النشر على الخط 2021/11/30
Received 13/02/2021 Accepted 30/04/2021 Published online 30/11/2021

ملخص:

تعتبر الحداثة الغربية واحدة من الثقافات التي شكلت سلسلة الحضارة الإنسانية إجمالا، باعتبارها ثقافة لها خصوصياتها التي تميزها عن غيرها، حيث خاضت الحداثة كفاحا ضد تغييب الإنسان كذات فاعلة في العالم وكذا سوداوية النظرة التي غلبت عليه في العصور الوسطى الأوروبية وحرمانه من دوره في نطاق ملأ العالم بالجديد وبالايجابي، هذه المنظومة الفكرية التي قادت إلى بروز أزمات معرفية مست الإنسان الحداثي أساسا، مشكلة بذلك انبثاقا لإنسان يعاني أزمات نوعية، الأمر الذي قاد إلى ظهور عدة مشاريع فكرية نقدية لنسق الحداثة الغربية وتطبيقاتها، ولعل من أهم هذه المشاريع النقدية نجد مشروع الفيلسوف الفرنسي روني غينون من خلاله تحليله لأزمة الحداثة الغربية وتأزمات الإنسان الحداثي، موضحا من خلال إنتاجه الفكري المآل الذي ينبغي الوصول إليه مبرزا آليات تجاوز هذه الأزمة، آخذا بيد الإنسان الحداثي نحو فضاء جديد يعيد للإنسان خصوصيته ومقامه الذي غاب تدريجيا ضمن النسق الفكري الحداثي، مسترشدا بالحكمة الشرقية القديمة وواضعا ميتافيزيقيا الشرق واحدة من الممكنات التي تتيح للإنسان الحداثي تجاوز أزماته .

الكلمات المفتاحية: الحداثة ، روني غينون، الحكمة الشرقية، الداروينية ، الفرويدية.

Abstract:

Western modernity is considered one of the cultures that formed the chain of human civilization as a whole, as a culture that has its own characteristics that distinguish it from others, where modernity fought against the absence of man's effectiveness in the world as well as the bad point of view that overcame him in the European Middle Ages and deprived him of his role in filling the world with all new and positive.

This intellectual system that led to the emergence of epistemological crises of the modernist consumer which is a problem with the emergence of a person suffering specific crises which led to the emergence of several critical intellectual projects to coordinate Western modernity and its applications, and maybe one of the most critical projects is the French philosopher Rene Guinon's project through his analysis of the crisis of Western modernity and the crises of modernist man, explaining through his intellectual output the prospect that must be reached highlighting the mechanisms of overcoming this problem, taking the hand of the modernist man into a new space that restores the human being his specificity and position which he gradually missed within the modernist intellectual pattern. Guided by the ancient eastern wisdom and the metaphysics of the East, one of the possibilities that allow the modernist man to overcome his crises.

Keywords: Modernity, Rene Guinon, Eastern Wisdom, Darwinism, **Freudian.**

[1]- المؤلّف المرسل: عبد الحميد مرزوقي البريد الإلكتروني: hamidtayha@gmail.com

1. مقدّمة:

إن الحديث عن إنسان متأزم يحيلنا أساسا للحديث عن تلك المنظومة الفكرية المتعددة الأبعاد والتي أنتجت هذا الإنسان، فمن المتعارف عليه ثقافيا أن تنامي أي خلل في أي مجال معرفي إنما يكون جراء اصطفاف للعديد من الأسباب والدوافع التي تحيل لا محالة إلى تبلور هذا الخلل واكتماله، وبالتالي انبثاق الأزمة المعرفية كمعطى يحتاج إلى فهم في البدء ثم إيجاد آليات التجاوز المفضية إلى تشكل المخرج من سطوة هذه الأزمة، وإعادة التأسيس للبراديغم المتجاوز، فالحديث عن الإنسان الحداثي يقودنا إلى محاولة فهم أسس الحداثة الغربية وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الغربي الباعثة والمشكلة لإنسان له خصوصياته والذي يعاني أزمة نوعية، باعتبار أن هذه الأزمة في حقيقتها تعني أن المؤسسات والقواعد التي يقوم عليها هذا المجتمع، والتي كان من المفترض أن تضمن استمرارية حياة البشرية، تستحيل هي ذاتها مصدرا للخلل والصعوبات، فتتعارض بذلك مع تلبية المتطلبات التي ينبغي أن توفرها هذه المؤسسات لأفراد المجتمع الذي أنشأت لغرض تسييره، وبهذا ينشأ الصدام بين أفراده ويحتدم الصراع فيما بينهم، ليمتد أثره فيشمل كامل المجتمعات البشرية الأخرى في محاولة لفرض الهيمنة الشاملة وفرض التبعية التامة قصد البحث عن فضاءات امتداد خارجية، تكون سندا لإشباع الرغبة الجامحة التي تفرضها المادية، والتي لا تجد لها أساسا تتجسد بها غير الصراع والصدام بغرض بسط سيطرة وسيادة شاملة على بقية الحضارات الأخرى جميعها، فالحضارة الغربية الحديثة تدعي كما يقول Samuel Huntington (1927-2008) أنها "الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى"([1]).

الأمر الذي أسلم بالضرورة الى انبثاق ذلك الإنسان الحداثي المتأزم بالنمط الفكري الذي صاغته الحداثة في الغرب، حيث يعيش أزمة نوعية أساسها البعد الواحد، أي البعد الطبيعي /المادي، االشيء الذي قاد إلى بروز الكثير من المشاريع النقدية لهذه المنظومة ولعل من أهم الفلاسفة النقاد لمنظومة الحداثة الغربية نجد مشروع الفيلسوف الفرنسي روني غينون، والذي يربط أبحاثه المستدركة بحضارة العالم الحديث ويقصر تحليله على الأزمة تحديدا في هذه الحضارة، فليس ذلك إلا لأن الثقافة الغربية اتخذت من صفتها المادية الخالصة مستندا لهيمنتها السياسية والاقتصادية على العالم بأكمله، وصارت لا ترى لسواها أدنى مبررات للوسم بهذا الوسم، وهي التي لا تأخذ من صفة الحضارة غير قشورها المادية الصرفة.

وكتجاوز لتجليات الأزمة الحداثية المشكلة لذلك الإنسان الحداثي المتأزم يلجأ روني غينون "إلى التنقيب بين تراكمات التراث الإنساني العام وبالأخص التراث الغربي قصد إظهار المعالم والأسباب التي ترتد إليها أي أزمة يمكن أن تعتري مجتمعا من المجتمعات البشرية وبالمقارنات الأركيولوجية"([2])، " ثم التوجه نحو الشرق وتحديدا نحو الحكمة والميتافيزيقا الشرقيتين خاصة وأن "الأوضاع الفكرية المهيمنة في الوقت الراهن على العالم الغربي، أمست الميتافيزيقا أمرا منسيا وعموما مجهولا وضاعت ضياعا شبه تام"([3])، وضاعت باستبعادها الأبعاد المتعالية للإنسان الحداثي الأمر إلي يقودنا إلى طرح إشكال قوامه: ما هي الأسس والمنطلقات التي يؤسس من خلالها روني غينون مشروعه الفكري؟ وما هي أهم الأدوات التي اتكأ عليها في عملية التحليل؟ والى أي مدى يمكن القول بأنه صاغ بديلا يتجاوز أزمة الحداثة الغربية؟

وعليه فان الخطة التي تتأطر عليها الاشكالية العامة لهذا الموضوع تكون كالتالي :

1 روني غينون فيلسوفا

[1] -صامويل هنغتنتون، صدام الحضارات، تر: طلعت الشائب، دار سطور، القاهرة، ط2، 1998، ص133.

[2] -Jean pierre ,Rene Guinon ,les enjeux d'une lecteur , Edition dervy, Paris, 2006, p138

[3] -روني غينون، الميتافيزيقا الشرقية، تر: عبد الباقي مفتاح، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، ط1، 2019، ص 14.

2. تمظهرات الأزمة الحداثية وانبثاق الإنسان الحداثي المتأزم
1.2 الداروينية
2.2 الفرويدية
3.2 النتشوية:
3 روني غينون والوعي بالأزمة الحداثية
الخاتمة

1. روني غينون فيلسوفا:

روني غينون Rene Guinon أو الشيخ عبد الواحد يحي بعد تبينه العرفان الإسلامي كمنهج في التعاطي مع الوجود "هو ميتافيزيقي فرنسي الأصل، مصري التجنس، ولد ببلدة بلوا الفرنسية في 17صفر 1304 الموافق ل15 نوفمبر- تشرين الثاني 1886م"([1])، ذاك أن اختياره لاسم يحي عبد الواحد قد يحمل دلالة "ويلخص عبارة وجيزة ذلك هو الطريق الذي سلكه وقاده في هدوء وسكينة بعيدا عن صخب الحياة وصراعها، يعبد الواحد الذي لا شريك له ويحي في بحثه عن الحق والحقيقة"([2])، وككل الفلاسفة والمفكرين كانت أولى خطواته التعليمية في مسقط رأسه وانتهى به الأمر إلى نيل شهادة البكالوريا سنة 1904، وفي هذه السنة سار غينون إلى باريس لتحضير الليسانس في الرياضيات وكان يومئذ طالبا لامعا في العشرين من عمره وبرز للعيان تفوقه في الكثير من المجالات ولعل أهمها آنذاك كان مجال الرياضيات.

كانت باريس مفعمة بالمدارس المختلفة المشارب والمتنوعة التخصصات وكانت فيها الماسونية، وكانت فيها المدارس التي تنسب إلى الهند أو إلى التبت أو إلى الصين، وكانت فيها الروحانيون على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم "ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة فقد فتحت له أبواب أخرى كلها لذة وكلها نعيم، ولا نقصد لذة حسية أو نعيما ماديا، إنما كانت باريس تمنح ذلك للماديين الحسيين فإنها تمنح لذة روحية ونعيما وجدانيا لمن لم تغرهم الدنيا وزينتها"([3])، وفي عام 1915 بدأ في إعداد رسالته في الدكتوراه حول (ليبنيتز والحساب التفاضل)، وفي عام 1917 بدأ الإعداد لدرجة الاجريجاسيون (شهادة الأستاذية) في الفلسفة.

أما نشاطاته الفكرية فقد انطلقت عام 1905 حيث "أنشأ روني غينون مجلة سماها 'المعرفة' اتسمت بالطابع العرفاني الذي كانت عليه مجلة أخرى سبقها كانت تسمى 'الطريق'"([4])، فيعد تجارب معرفية متنوعة في فرنسا، وفي " سبتمبر 1917 عين أستاذا للفلسفة بجامعة الجزائر فقضى فيها عاما عاد بعده إلى فرنسا وعين في مدرسة بلدته ولكنه استقال بعد عام قضاه في التدريس ليتفرغ لأبحاثه"([5]).

وبعد أحداث مؤلمة وقعت له بفقدانه للكثير من أقاربه في فترة زمنية قصيرة قد يصعب على أي إنسان تجاوزها، فكر غينون بالسفر فعرضت عليه دار من دور النشر في باريس السفر إلى مصر ليتصل بالثقافة الصوفية فينقل نصوصا منها ويترجم بعضها فقبل بالعرض "ففي

[1]- المصدر نفسه، ص 09.

[2]- زينب عبد العزيز، مقالات من رينيه غينون، دار الأنصار، القاهرة، دط، ص 07.

[3]- روني غينون، التربية الروحية والتحقق الروحي، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص ج.

[4]- المصدر نفسه، ص د.

[5]- روني غينون، رموز الإنسان الكامل، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2016، ص07 .

العشرين من فبراير 1930 سافر إلى مصر لهذا الغرض وكان من المفروض أن يقضي فيها بضعة شهور فقط، ولكن هذا العمل اقتضى منه مدة طويلة، ثم عدلت دار النشر عن مشروعها فاستمر الشيخ يحي عبد الواحد في القاهرة يعيش في حي الأزهر متواضعا مستخفيا لا يتصل بالأوربيين ولا ينغمس في الحياة العامة"([1])، وفي هذه الأثناء تعرف على الشيخ سلامة الراضي من الطريقة الشاذلية، ثم تعرف على أهم شخصية أثرت في توجيه الفيلسوف روني غينون هي شخصية العارف بالله عبد الرحمان عليش والذي كان له تأثير بالغ مسار غينون الفكري وكذا في سلوكه، حيث كان السبب المباشر في تغيير الذهنية الفكرية للفيلسوف من خلال انتقاله من المسيحية إلى الإسلام "وهو الشخص الذي أهدى إليه غينون أحد كتبه بعبارة (إلى الذكرى الموقرة، ذكرى الشيخ عبد الرحمان عليش الكبير العالم المالكي المغربي الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب)"([2]).

مكث الشيخ يحي عبد الواحد في القاهرة يؤلف الكتب ويكتب المقالات ويرسل المراسيل إلى جميع أنحاء العالم عامة والى أوروبا الحداثية خاصة في حركة دائمة، حركة فكرية وروحانية تشع أنوارها على كل من يطلب الهداية والرشاد، إلى أن وافته المنية يوم "الاثنين الموافق 7يناير 1951م في الساعة الحادي عشر مساءً عن عمر يناهز الرابعة والستين في مسكنه بحي الدقي"([3])، وعرفت جنازته مراسيم متواضعة حيث تشكل الموكب "من الأسرة وبعض الأصدقاء ولم يكن فيها أي شيخ من مشايخ الأزهر"([4]).

2 – تمظهرات الأزمة الحداثية وانبثاق الإنسان الحداثي المتأزم

إن تكون إنسان يعاني من أزمة يحيلنا مباشرة إلى تتبع أهم الخلفيات الفكرية المشكلة للتراكمات المؤثرة في انبثاق هذا الإنسان، هذه الفراغات الفكرية بتراكمها شكلت هوة فكريةً، أسست إلى انبثاق هذا الإنسان الحداثي الذي يعاني من تشوهات مست الكثير من الجوانب المعرفية بدءا بالبعد الفيزيولوجي المرتبط بالمادة الجسدية وذلك من خلال إعادة بعث فهم جديد لماهية الإنسان انطلاقا من الشق المادي، مرورا بتشوه مس الجانب النفسي من خلال الثورة التي حدثت في علم النفس الحديث ببعث مدرسة نفسية جديدة أعيد من خلالها ترتيب فهم جديد يتوافق في كثير من الجوانب مع الفهم الفيزيولوجي، وصولا إلى الأزمة القيمية المرتبطة بالغايات والمقاصد الإنسانية التي يهدف إليها كل إنسان وهي الحلقة النهائية في سلسلة تشكل الإنسان الحداثي المتأزم والذي يحتاج إلى إعادة تقويم وبالتالي إعادة بعث.

1.2 الداروينية :

تعتبر أولى بوادر انبثاق الأزمة الحداثية وتشكل الإنسان الحداثي المتأزم قد تشكلت مع عالم الأحياء تشارلز داروين Charles Darwin (1809-1882) وجملة الأفكار الثورية المشكلة لفلسفته، أو ما يعرف بالفلسفة الداروينية والتي هي عبارة عن جملة التفسيرات التي وظفت نتائج عالم الأحياء البريطاني ،كما تعتبر الداروينية "تعتبر ترجمة لكلمة داروينيزم Darwinisme الانجليزية ويقال لها

[1]– المصدر نفسه، ص 12.

[2]– روني غينون، التصوف الإسلامي المقارن، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص و.

[3]–خالد محمد عبده، من رموز العالم المقدس ، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات ، الرباط، مارس 2014، www. Mouminoun. Com، ص 03.

[4]– روني غين، شرق غرب، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016، ص13.

أيضا (الداروينية الاجتماعية)"([1])، أما في جوهرها فيمكن اعتبار فلسفة داروين "فلسفة علمانية شاملة واحدية عقلانية مادية كمونية، تنكر أي مرجعية غير مادية وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية، وترد العالم بأسره إلى مبدأ واحد كامن في المادة"([2]).

تنطلق الفلسفة الداروينية في نظرتها الوجودية للعالم من اعتبار العالم "طبيعة، والطبيعة محايدة لا تعرف الخير أو الشر أو القبح أو الجمال، ولا توجد أي ثنائيات في الكون، إذ يرد كل شيء إلى المادة ويفسر كل شيء بالتطور المادي"([3])، فالرؤية الداروينية أسست لفكرة الصراع الأبدي، إذ من خلالها تم نقل الصراع الحاصل في الطبيعة ومحاولة إسقاطه على عالم الإنسان من منطلق أن العلاقة بين الكائنات الحية في الطبيعة القائم على الصراع لا يختلف عن العلاقات القائمة بين الأفراد داخل المجتمعات الإنسانية، بذلك يصير العالم الإنساني إلى حركة دائمة والى حلبة صراع تطورية يكون فيها البقاء للأصلح وللقادر على البقاء، هذا الصراع الذي سينتقل من نطاق الأفراد إلى حيز الجماعات، انطلاقا من هذا يمكن فهم الداروينية في مجملها على أنها "رؤية تنطبق على التاريخ من جهة أن الشعوب الأقوى لها أفضلية الهيمنة وفرض نموذجها على العالم، الذي سيتحول إلى مادة استعماليه كلية بالنسبة للأرض أو البشر، وما الموجة الاستعمارية للعالم التي حركتها دوافع الحداثة ومنطق التنوير إلا خير شاهد واقعي على النزوع الدارويني في معنى التقدم بوصفه صراعا سرمديا"([4]).

فالداروينية كانت المبعث الرئيسي للأزمة الحداثية بإعادة تشكيل منطلق فهم غير مألوف للوجود من خلال الإقرار بأن الإنسان مجرد كائن عضوي مادي مثله مثل شتى الكائنات الحية المشكلة للنظام الطبيعي، رافضة بذلك الإقرار بوجود عوالم أخرى للإنسان غير العالم المادي العضوي، بهذا يكون تشارلز داروين قد قدم نقلة خطيرة للإنسان باعتبار ذلك الفهم الجديد الذي أنتجه حيث "نستطيع القول أن كتاب داروين (أصل الأنواع) كان فاصلا بين عصرين ثقافيين، عصر ثقافي قبله يتصور العالم سكونيا ثابتا، وعصر ثقافي بعده يمتد إلى يومنا هذا يجعل حقيقة العالم تغير وتطور وحركة، فإذا ما وضحت لنا هذه الحقيقة فقد وضحت بالتالي المبادئ الأساسية التي تقوم عليها ثقافتنا القائمة"([5])، الشرخ ذو الأساس البيولوجي الذي أحدثه داروين أسلمنا إلى بداية تشكل هذا الإنسان الحداثي الذي يعيش حياته متصارعا من أجل البقاء، سواءً أكان هذا الصراع فرديا أو من خلال الجماعات المصطفة مع بعضها البعض، إنسان يعيش أزمة نوعية ترجمتها حالة البنية التي تشكل واقع الغرب الحداثي من خلال انعدام المعنى الذي يتمركز الوجود حوله.

بهذا تصير الداروينية لازم من لوازم الحداثة الغربية وواحدة من أزماتها التي تعطي للإنسان الغربي المقدرة التسلطية على كل مظاهر الحياة في شكل توافق فان لم يحصل فالصراع القائم عل القوة " وكمثال ما هو مصير إفريقيا السوداء إزاء حركات العبودية المتوالية والاستعبادية، ثم مآل التجربة الحضارية والتاريخية للهنود الحمر، ولا يقال أن هذا ليس من الحداثة في شيء، ان الغزاة الأوائل لم يتحركوا لوازع الفتك، بل كان طموحهم تنوير العالم للحاق بركب الحضارة، وليت شعري أيحتاج اللحاق إلى كل هذه المأساة التي عانى منها الإنسان وحملات المحو والإبادة المبرمجة"([6])، فالتجلي الحقيقي للداروينية في الواقع عبرت عنه الامبريالية الغربية التي اقتسمت العالم "فالامبريالية هي تدويل الرؤية الداروينية،

---

[1]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكك الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 2010، ص97.

[2]- المرجع نفسه، ص 97.

[3]- المرجع نفسه، ص 101.

[4]-الحاج دواق، الحداثة نحو إمكان آخر، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2016، ص 09، www.mouminon.com

[5]- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993، ص218.

[6]- الحاج دواق، الحداثة نحو امكان آخر ، ص 09، ص 10.

حيث أصبح العالم كله سوق مسرحا لنشاط الإنسان الأبيض المتفوق الذي أباح لنفسه قتل الآخر ضمانا لبقائه وتأكيدا لقوته، وقد ساهمت الداروينية أيضا في تزويد النظريات العرقية الغربية والتجارب الخاصة بتحسين الأجناس والنسل والقتل الرحيم على أساس علمي"([1]).

2.2 الفرويدية :

فبعد الفلسفة الداروينية التي تعد المنطلق الحقيقي في انبعاث أولى إرهاصات الأزمة الحداثية، تلتها زمانيا رؤية معرفية أخرى عدها الكثير من الفلاسفة والنقاد تمظهرا آخرا لأزمة الإنسان الحداثي باعتبارها أيضا شرخا داخل تاريخ الحداثة الغربي، شرخ نفسي أرسى قواعده عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939) من خلال تلك الثورة المعرفية التي أمتد تأثيرها لمئات السنين، والتي أعادت ضبط مفاهيم علم النفس إجمالا، متأثرا في ذلك بأفكار تشارلز داروين من منطلق أنه إذا كان علم الأحياء تغير "باعتبار أنه انتزع من الإنسان مايدعيه من مكانة ممتازة في النظام، فخرج عليه أنه ينحدر من سلالة حيوانية وتبين له ما انطوى عليه نفسه من طبيعة بهيمية لا يمكن أن تستأصل، فلم لا يفعل علم النفس الشيء ذاته؟ ألم يتنبأ داروين بذلك حين صرح بان علم النفس سوف يؤسس على أساس جديد"([2]).

ففي عصر يتغنى فيه العلم بهيمنة التفسيرات المادية لكافة مظاهر الوعي الإنساني، كان لابد أن تكتمل طبقات الحتمية البيولوجية المحيطة بالإنسان لتضيف شرطا نفسيا جديدا إلى ذلك الجانب العضوي الذي أكمه علماء التطور، انه شرط 'اللاشعور'، ذلك الخضم الهائل من الغرائز المتصارعة في النفس الإنساني، ذلك أن فرويد لا يخفي بتاتا تأثره البالغ بداروين حيث يبرز في ذلك في كتابه (حياتي والتحليل النفسي) قائلا: "إن نظريات داروين التي شاع الاهتمام بها في ذلك الحين اجتذبني إليها اجتذابا قويا لما كانت تبشر به من تقدم فائق في الكون"([3])، فتأثره بداروين كان الدافع الأول لتوجه عالم النفس البشرية دراسة وتحليلا ليعيد ترتيب المفاهيم المتداولة في علم النفس الكلاسيكي من خلال إعطائها فهوما جديدة انعكست فيما بعد على الفهم التركيبي العام لماهية الإنسان، وكذا علاقته بغيره تارة وعلاقته بالوجود تارة أخرى، انطلاقا من فكرة محورية التي بشر بها فرويد وهي فكرة 'اللاشعور'، "ففكرة اللاشعور تقلب التصور الفلسفي التقليدي للإنسان من حيث هو كائن عاقل..إن اكتشاف اللاشعور وطرق تجليه في الحياة النفسية يجعل فرويد يسلسل التقليد للفكر الغربي، فهو حين يكتشف اللاعقل وراء ما ظن انه عقل وعندما يبشر بضرورة اكتساح العقل لما ينافيه ويعارضه فانه بقضي بذلك خطى الكثير من مفكري الغرب والنزعة العقلية"([4]).

فالفرويدية أعادت إنتاج إنسان يدرك بأن الكثير من سلوكياته نابعة من اللاوعي الذي يعتبر الفضاء الذي تطفو من خلاله جملة الرغبات والأهواء والغرائز المكبوتة، باعتبارها المحرك الأساسي الذي لجل سلوكات الفرد التي كان يظن أنها نابعة من حريته الذاتية "فلم يعد الإنسان عند سيغموند فرويد إلا حزمة من الرغبات والغرائز المكبوتة منذ سنوات نشأتها الأولى، رغبات وغرائز تحتم عليه سلوكه وتؤكد أن حريته التي كان يظنها سمة مميزة له عن سائر الحيوانات لم تكن سوى ضرب من ضروب الوهم"([5]).

---

[1]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكك الانسان، ص 101، ص102.

[2]- صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، منشأة المعارف، الإسكندرية،دط، 2001، ص125.

[3]-سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفى زبور، عبد المنعم الميحلي، دار المعارف، بيروت، ط4، ص13.

[4]- محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت، ط1، 2009، ص19،ص20.

[5]-صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، ص 125.

فتمظهر الأزمة الحداثية من منظور سيكولوجي، وكاستمرار لتشكل الإنسان الحداثي المتأزم كان أساسا نتاج أفكار سيغموند فرويد، حيث يمكن اعتبار هذا الإنتاج المعرفي شرخا حداثيا آخرا وعاملا رئيسيا في انبثاق الإنسان ذو البعد الواحد والرافض لكل الأبعاد الإنسانية الأخرى، وإلى تحركه جملة من الغرائز اللاواعية التي تشكلت جراء تراكمات نفسية سابقة تقادمت زمنيا إلا أنها تؤثر في حاضر الإنسان وواقعه وكذا جل علاقاته، بهذا يكون فرويد قد صاغ مخططا لفلسفة ثورية شكلت أزمة داخل النسق الحداثي باعتبار فلسفته أسلمتنا في الأخير إلى تشكل ذلك الإنسان الخالي من أي بعد روحي والذي يتصرف كليا لإشباع رغباته الغريزية وهو بهذا المعنى إنسان سعيد، الأمر الذي يجعل الكثير من الفلاسفة يقرون بأن فلسفة فرويد النفسية تعد شرخا سيكولوجية في ماهية الإنسان الحداثي وتمظهر من تمظهرات الأزمة القيمية الحداثية.

3.2 النتشوية:

وكحلقة أساسية بارزة في اكتمال سلسلة النسق الفكري الحداثي المشكلة لكيان الإنسان الحديث الذي يعاني أزمة نوعية، برز ذلك الشرخ الاكسيولوجي العميق الذي بشرت به الفلسفة النتشوية المنسوبة للفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900)، وهو المنعرج خص أساسا بالجانب القيمي باعتبار أن فلسفة نيتشه إجمالا هي فلسفة ثائرة على كل مألوف بما فيه جملة القيم المتعارفة بين جميع الاتجاهات الإنسانية، لأنه يستند في تنظيره إلى خصيصة منهجية وظفها الكثير من الفلاسفة سواءً قبله أو من بعده، هذه المنهجية ترتكز على قيمة الشك، والتي وظفها على مجال القيم مفككا لماهيتها باعتبار "أن الشك بدأ يطال كل القيم ويتم اعتبار القيمة الحاسمة لفعل ما إنما تكمن في ما ليس له قصدية وأن كل ما فيه قصدية ووعي هو بالأحرى قشور وسطحيات"([1]) ، فالمبعث الشكي المطبق من طرف نيتشه والمطرقة النتشوية على مجال القيم تحيلنا إلى التسليم بان نيتشه يسعى إلى أبداع نمط قيمي جديد يتجاوز الأنماط السائدة من خلال وجوب تجاوز "ذلك الخير وذلك الشر، يجب أن نترك العنان لطبيعتنا المطلقة.. يجب أن يكون لنا من الجسارة ما به نحيا حياة حرة سافرة في وضح النهار وإذا اقتضى الأمر أن نسير فوق طريق من الجماجم، فعلينا أن نسحقها بأقدامنا ودون أن يتحرك ضميرنا بملام، يجب أن تكون لنا قلوب قاسية"([2])، فنيتشه بهذا يجزم ابتداءً بإلزامية إرجاع كل معاني الخير والشر إلى الإنسان رافضا كل المعاني المطلقية في التعاطي مع القيم، منقلبا بذلك عما فهمه الإنسان طوال عصور سالفة، ذاك "أن ما رفضه نيتشه في قيم عصره والتي ترتد إلى الأفلاطونية والى سقراط التي دعمتها المسيحية هي قيم العبيد والقطيع، ذلك أنها ليس القيم (بالإلف واللام) إنما هي نمط واحد من القيم الإنسانية من الممكن أن يوجد معها والى جوارها والى خلفها أشكال قيمية جديدة"([3])، فتترتب عن هذه الدعوى القول بانتفاء الغاية عن العالم وإزالة صفة الإلوهية باعتبار عدم حاجة الطبيعة لهذه الصفة، ونفي إرادة الإله في تسيير التاريخ، هذا المنطق يسلمنا إلى نتيجة أساسية قوامها أن الوجود "تم تطهيره من المطلقات والقيم، وتم اختزاله إلى مستوى واحد يتساوى فيه الإنسان بالطبيعة،وهو مستوى القانون الطبيعي/المادي أو الطبيعة /المادة، وفي مثل هذا العالم الأملس لا يوجد مجال للوهم بأن الإنسان يحوي أسرار مالا يمكن الوصول إليه"([4])، فالفلسفة النتشوية تعتبر الوجود خالي من السحر اللامادي رافضة بذلك أي بعد آخر وأي مقياس غير المادة /الطبيعة بما في ذلك قيم

[1]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكك الانسان، ص39.

[2]- فريديريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، تر: فالور حجار، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2003، ص46.

[3]- محمد الشرقاوي، الفكر الأخلاقي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ص27.

[4]- عطية احمد عبد الحليم، نيتشه وجذور مابعد الحداثة، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2010، ص300.

الإنسان التي تصير من وجهة نتشوية إلى أن تكون مستقاة من عالم المادة باعتبار أن الإنسان هو خالق قيمه انطلاقا من ذاته وذلك ما يفضي على القيم طابعها الإنساني.

فمن خلال هذا يمكن اعتبار الشرخ النتشوي الحلقة الأخيرة في انبعاث الإنسان الحداثي المتأزم بأزمات مختلفة، باعتبار أن فلسفة نيتشه تعبر عن أزمة قيمية مرتبطة بأهم المجالات الإنسانية، فبعد اكتمال حلقات أزمة الحداثة الغربية صار الإنسان الحداثي "إنسان بسيط يعيش داخل نطاق الطبيعة لا يملك لها تجاوزا يسري عليه ما يسري عليها من قوانين، إنسان فقد تماما العقل النقدي المتجاوز"([1]).

إن تشكل هذا الإنسان المفرغ من أبعاده الإنسانية والذي صنعته فلسفات الأزمة الثلاث، أسلمته إلى تشكيل وعي انطولوجي إزاء الوجود، وعي يمركز العدم أولا وأخيرا الأمر الذي قادنا إلى النظر إلى تلك الرؤية التجاوزية لفيلسوفنا روني غينون، والذي يؤسس إلى مشروع حضاري يعيد من خلاله للإنسان مكانته الوجودية السامية من خلال إعادة بعث ذلك الجانب العظيم الذي تم إلغاؤه باسم عناوين مختلفة، انه الجانب الروحي في الإنسان جاعلا من الحكمة الشرقية السراج المنير الذي سيقود الإنسان إلى المقام الوجودي الذي يليق به كانسان متعدد الإبعاد، مستلهما من التصوف الإسلامي الأطر الفعالة في بعث الإنسان السليم، أو ما يسميه فيلسوفنا "بالتحقق الروحي" والذي تشترك فيه كل المذاهب التراثية في الشرق "هذا التحقق هو الذي تصفه جميع التراثيات كاسترجاع لما تسميه "مقام الفطرة الأصلية الأولى وهو الذي يعتبر كمقام الإنسان الحقيقي، وهو متعال عن بعض القيود المميزة للمرتبة العادية لاسيما قيود الظرف الزماني، والكائن الذي تمكن في هذا المقام لازال فردا بشريا ولم يتحقق بعد بأي مقام فوق فرديته"([2]).

3 -روني غينون والوعي بالأزمة الحداثية:

يصعب على الباحثين تصنيف شخصية غامضة مثل روني غينون ضمن تيار فلسفي معين، بل ويصعب تحديد الإطار العام الذي صاغ ضمنه مجمل آثاره المختلفة، فهل تعد هذه الآثار فلسفية؟ أم تعتبرها دراسات اجتماعية وسياسية؟ أم هي تنقيبات أركيولوجية وبناءات أنثربولوجية؟ غير انه لا يصعب التنبه إلى أن التراث الزاخر والمتنوع الذي خلفه غينون يعد ضربا من التأمل العميق حول المكانة والوظيفة التي تمكن فكرة العودة الى الحكمة الشرقية وما يمكن أن ينتج عنها من إصلاح وتوجيه، فآثار الفيلسوف التي تمتاز بديمومة صلاحيتها، كما توحي باستمرار إنها ليست مجرد انتقادات عابرة أو عبثية، إنما هي تأملات نافذة وصلت إلى أعماق الأزمة التي يعاني منها العالم الغربي الحديث، لتكتشف عن جذور اللبس والغموض الذي يكتنف هذه الأزمة التي استفحلت أوجاعها، وتشعبت أدوارها لتعصف بكل العالم على اختلاف مجتمعاته ومؤسساته الحديثة.

يرجع الفيلسوف الأصول الحداثية إلى بدايات القرن الرابع عشر من خلال مؤشرات القطيعة في الفكر الغربي الحديث مع الروح التقليدي، الذي يسود مجمل الثقافات ذات الطبيعة الروحية، والتقليد حسب غينون يتمحور حول التصور الميتافيزيقي الشرقي الذي يجعل من وحدة المبدأ منطلقا أوليا لكل تجليات الوجود، غير أن القطيعة مع هذا المنطلق الذي وقع في الثقافات الغربية الحديثة، نتجت عنه انحرافات جذرية في الفكر الغربي الحديث انعكست في الفضاءات التي استشرفتها عندما تعرض لأزمة العالم الحديث، والتي لا تعدو أن تكون لحظات من تاريخ البشرية الطويل التي لخصها روني غينون وأرساها لنقد العالم الحديث والتي ضمنها غينون في أربعة كتب أساسية وهي كتاب (شرق غرب)، (أزمة العالم الحديث)، (هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان)، (السلطة الروحية والحكم الزمني) .

[1]–عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر، دمشق، ط4، 2013، ص42.

[2]– روني غينون، الميتافيزيقا الشرقية، ص 44

كتاب "شرق وغرب" يدور موضوعه حول تبيان الطبيعة الداخلية للأزمة التي تعصف بالغرب، فالشرق من وجهة نظره يعيش وسط انسجام المبادئ التي تدير حياة الإنسان الشرقي، فكل شيء يسير في انتظام لان الكل يشغل الحيز الذي ينبغي له وفق طبيعته، وعلى العكس من ذلك نجد الغرب يقبع في فضاء ضبابي ومختل غير منظم، ولذا فان المجتمع الغربي اليوم إذا أراد الخروج من أزمته فلا ينبغي عليه إلا البحث عن أسباب حرجه في تناقضاته الداخلية وأساسها " اللهفة وراء التطور المادي المبتور عن كل ترقي روحي، وفي تأليه الفكر المقطوع عن الوحي الرباني في متاهات التكديس والتكاثر والتقنيات والعلوم المادية دون اعتبار لأصولها العلوية"([1])، الأمر الذي قاد هذه الحضارة إلى الإيمان بجملة من القيم السطحية الفاقدة لمعنها وغايتها، كل ذلك في إطار حضارة في منتهى الهشاشة حاملة في ذاتها بذور فنائها كلما ازداد تطورها، ولا نجاة للغرب من دوامة الخواء الروحي الذي يهوي بع إلا بالاقتراب من التعاليم الربانية التي لا تزال حية في الشرق"([2]).

كما يبرز روني غينون في هذا الكتاب صعوبة التقارب بين الشرق والغرب باعتبار العوائق الصعبة التي تعترض هذه التقارب، غير أن هذه العوائق ينبغي تجاوزها إن أراد الغرب العودة إلى أحضان حضارة متوازنة والنجاة من مصير متعفن وخطير، وفصل الفيلسوف ما ينبغي تجنه في مسار تلقيح وتلاقح الغرب مع الشرق، وتنشئة الظروف للازمة لضمان الوفاق والانسجام.

وكتكملة لمشروع استيعاب ونقد الحضارة الغربية كتب الفيلسوف روني غينون كتاب)أزمة العالم الحديث)، حيث يشرح فيه غينون كيف سجنت الحداثة أهلها في المادية القاتلة والشخصانية الوهمية والفردية المعزولة "لان أصولها بترت فانفصلت عن الحقيقة الثابتة المسقية بمياه التعاليم الربانية وشرائع دين الله تعالى"([3])، فهذه النظرة الصارمة للفيلسوف لم تمنعه من إعطاء نظرة حول إمكانية تصحيح الوضع المنذر بالخطر الدائم "وذلك بالعودة إلى منابع التراث الروحي الأصيل التي لاتزال حية إلى اليوم"[(4)].

كما كتب الفيلسوف روني غينون كتابا آخر في غاية الأهمية باعتباره كتاب يحمل توصيفا للميكانيزمات التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة، كتاب اختار له عنوان " السلطة الروحية والحكم الزمني" والذي كتبه سنة 1929م، حيث ركز فيه غينون على الميزة الأساسية للسلطة الروحية وعلو مرتبتها " وضرورة احترام سلم القيم والتدرج في المراتب لدى كل مجتمع محافظ على الدين "[(5)]، كما يقدم الفيلسوف من خلاله البديل لجملة المفاهيم المغلوطة التي قامت عليها الفلسفة الغربية عموما إذ نجده يجدد ما سبق وأثاره في كتبه النقدية السابقة على أن الحياد عن المبدأ الروحي الفطري كان السبب الرئيسي الذي تولدت عنه أوجاع الحضارة الحديثة وتنامت معه المآسي الإنسانية، كما عرض في الكتاب العلاقة التي ينبغي أن تربط رجال الدين بالحكام السياسيين بأمثلة من التراث الهندوسي والغربي في القرون الوسطى "ويقرر أن اختلاف الموازين في سلم القيم الدينية والاجتماعية يؤول إلى قلبها إذا لم يحصل التقويم السليم في الوقت المناسب ومن هذا الانقلاب السالب تنشأ الفوضى في العقائد والمفاهيم والأفكار والسلوكيات وتلك علامة الدخول في أحلك الحقب التي تشكل المرحلة الظلامية لتاريخ الإنسانية"[(6)].

---

[1]–روني غينون، نظرات في التربية الروحية، ص غ.

[2]–روني غينون، أزمة العالم الحديث، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، ط1، 2017، ص02.

[3]– روني غينون، التربية الروحية والتحقق الروحي، ص ذ.

[4]–روني غينون، رموز الإنسان الكامل، ص 34.

[5]–روني غينون، نظرات في التربية الروحية ، ص ظ.

[6]– روني غينون، رموز الإنسان الكامل، ص 36.

ثم كتب فيلسوفنا كتابا آخر داخل محور تحليل أزمة العالم الحديث عنونه بـ(هيمنة الكم وعلامات أخر الزمان) سنة 1946م وهو آخر الكتب التي تضمنها محور دراسة الحضارة الغربية، وهو من أبرز مؤلفات روني غينون وأكثرها إثارة حيث شرح في هذا الكتاب "الأسس الخاطئة والاتجاهات الدجالية للحضارة الغربية المعاصرة ومراحل تطورها في الماضي والمستقبل إلى آخر الزمان"[1]، حيث ضبط عدة مفاهيم أساسية في المعرفة والأخطاء الحديثة في شأنها كمعنى الكم والكيف وحقيقة التجلي والظهور والزمان، ومدى هيمنته القصيرة على العالم وكذا آليات نهايتها على أيدي القوى الربانية، وأخيرا بين بيان معنى نهاية الدنيا وقيام الساعة .

هذا باختصار شديد أهم مميزات فكر الفيلسوف روني غينون الذي تناول أبرز معالم الأزمة التي يعرفها الغرب الحديث، وتحليلها وتبيان آثارها في حدود ما سمحت به ظروف البحث الموجز ووفق أهم المرتكزات النقدية التي تضمنتها مؤلفات الفيلسوف روني غينون، هذه الأزمة التي قادت المجتمعات الغربية إلى تشكل نمط من التعامل بين أفراد تبنوا هذه الأزمة وتلقوها بقبول الأمر الذي حاد هذه المجتمعات إلى انحرافات قيمية.

4- خاتمة:

كتجاوز لهذا النسق الحداثي المفضي إلى تشكل ذلك الإنسان المتأزم التائه والمذهول عن الغاية السامية للوجود إجمالا، يفتح روني غينون وجوب العودة الى منابع الحكمة الشرقية القديمة، وإعادة الاعتبار للميتافيزيقا الشرقية باعتبارها "المعرفة فوق العقل حدسية ومباشرة، وهذا الحدس الروحي الخالص، الذي بدونه لا وجود لميتافيزيقا حقيقية، لا ينفي بتاتا تشبيهه بالحدس الذي يتكلم عليه بعض الفلاسفة المعاصرين، لأن هذا الأخير بالعكس هو حدس تحت العقل"([2])، هذه الميتافيزيقا التي تعيد بعث الجانب الباطني والروحي في الإنسان الأمر الذي يلزمه بإعادة ترتيب فهمه للوجود .

فالفرق بين الشرق والغرب بمعناه الحديث عن غينون هو فرق شاسع باعتبار أن الشرق محافظ على التراث الروحي العرفاني مع كل ما يستلزمه، في حين أن الغرب يملك في منظومته الثقافية نسيان وفقدان لنفس التراث، كما أن في جانب الشرق توجد صيانة للمعرفة الميتافيزيقية وفي الغرب جهل مطبق بكل ما يتعلق بهذا الميدان، فالحضارات التراثية تفتح لنخبها الروحية الإمكانيات التي حاولنا توضيحها وتوفر لها أحسن الوسائل الملائمة لتحقيقها الفعلي.

فالتفوق المادي للغرب الحديث لا نزاع حوله ولا احد يسعى لانتزاعه منه، ولكن لا أحد يحسده عليه إلا من بهرته المغريات المادية، بل ينبغي أن نذهب أبعد من ذلك: إن التضخيم المادي المفرط يوشك عاجلا أم آجلا أن يهلك الغرب أن لم يتدارك وضعه في الوقت المناسب ولم يتجه بجد للعودة إلى الأصول أي الحكمة الشرقية وتفعيل معانيها لتجاوز ذلك الإنسان الحداثي المتأزم والخالي من الثقل الإنساني إلى إعادة بعث إنسان يمركز المبدأ المتعالي ومتعدد الأبعاد يسمو عن كل الموجودات.

[1]–روني غينون، الميتافيزيقا الشرقية، ص 30.

[2]– المصدر نفسه، 62.

5. قائمة المراجع:

- Jean pierre ,Rene Guinon ,les enjeux d'une lecteur , Edition dervy, Paris, 2006.
- الحاج دواق، 2014، الحداثة نحو إمكان آخر، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2016، www.mouminon.com
- خالد محمد عبده، 2016، من رموز العالم المقدس ، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات ، الرباط، مارس 2014، www. Mouminoun Com.
- روني غين، شرق غرب، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016.
- روني غينون، أزمة العالم الحديث، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، ط1، 2017.
- روني غينون، التربية الروحية والتحقق الروحي، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص ج.
- روني غينون، التصوف الإسلامي المقارن، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص و.
- روني غينون، الميتافيزيقا الشرقية، تر: عبد الباقي مفتاح، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، ط1، 2019.
- روني غينون، رموز الإنسان الكامل، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016.
- روني غينون، نظرات في التربية الروحية ، تر: عبد الباقي مفتاح، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.
- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993.
- زينب عبد العزيز، مقالات من رينيه غينون، دار الأنصار، القاهرة، دط،.
- سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفى زبور، عبد المنعم الميحلي، دار المعارف، بيروت، ط4.
- صامويل هنغتنتون، صدام الحضارات، تر: طلعت الشائب، دار سطور، القاهرة، ط2، 1998،.
- صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، منشأة المعارف، الإسكندرية،دط، 2001.
- عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر، دمشق، ط4، 2013.
- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكك الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 2010.
- عطية احمد عبد الحليم، نيتشه وجذور مابعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010.
- فريديريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، تر: فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2003.
- محمد الشرقاوي، الفكر الأخلاقي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990،.
- محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت، ط1، 2009،.